عبر كبار العلماء.. ما الذي دفع السعودية لمحاربة جماعة الإخوان وفكرها؟

التغيير

بعد أن كان الإخوان المسلمون من أبرز حلفاء المملكة على مدار عقود، تحولوا خلال سنوات قليلة ماضية إلى ألد خصومها السياسيين داخل وخارج البلاد.

وبين حين وآخر تذكر الرياض أن هذه الجماعة التي تعد من أعرق التنظيمات السياسية والدعوية في العالم العربي، "إرهابية"، وأنها "سبب وجود الإرهاب في العالم"، مع رفض الجماعة لهذه الاتهامات، خاصة أنها كانت مدعومة لعشرات السنين من المملكة وغيرها من دول الخليج.

هذا الأمر فتح تساؤلات عدة عن سبب إعادة المملكة لهذا الملف إلى الواجهة مجدداً، رغم عدم وجود أي نشاطات سياسية تذكر للجماعة داخل المملكة، وتوقف معظم نشاطاتها في الكثير من البلدان العربية

نتيجة الانقلابات العسكرية التي دعمتها الرياض وأبوظبي وغيرها لوأد الثورات العربية المنادية بالديمقراطية بدعوى محاربة الإسلاميين.

إعادة التصنيف

لم يكن جديداً تصنيف المملكة لجماعة الإخوان المسلمين على لائحة الإرهاب، إنما الجديد هو خروج بيان رسمي من قبل هيئة كبار العلماء في المملكة، ما يمثل "فتوى سياسية" أكثر من مجرد بيان، في ظل تغيرات محلية ودولية، مثل إعادة هيكلة الهيئة وتعيينات شاملة فيها، وخسارة الرئيس الأمريكي الداعم لنظام آل سعود دونالد ترامب وفوز خصمه الديمقراطي جو بايدن بسباق الرئاسة.

وفي إطار ذلك قالت الهيئة في بيان لها، يوم الثلاثاء (10 نوفمبر 2020)، إن "جماعة الإخوان المسلمين تتستر بالدين وتمارس ما يخالفه من الفرقة وإثارة الفتنة والعنف والإرهاب"، كما حددت خطبة الجمعة القادمة لتكون لتأكيد بيان الهيئة.

الهيئة قالت كذلك: "الإخوان المسلمون هم جماعة منحرفة قائمة على منازعة ولاة الأمر والخروج على الحكام، وإثارة الفتن في الدول، وزعزعة التعايش في الوطن الواحد، ووصف المجتمعات الإسلامية بالجاهلية".

كما شددت على أنه "منذ تأسيس الجماعة لم يظهر منها عناية بالعقيدة الإسلامية، ولا بعلوم الكتاب والسنة، وإنما غايتها الوصول إلى الحكم، وتاريخ الجماعة مليء بالشرور والفتن ومن رحمها خرجت جماعات إرهابية متطرفة عاثت في البلاد والعباد فساداً، مما هو معلوم ومشاهد من جرائم العنف والإرهاب حول العالم".

وعلى الفور سارعت جماعة الإخوان المسلمين للرد على البيان على لسان طلعت فهمي، المتحدث باسمها، قائلاً: إن "الجماعة بعيدة كل البعد عن العنف والإرهاب وتفريق صف الأمة، وهي منذ نشأتها جماعة دعوية إصلاحية، تدعو إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، دون إفراط أو تفريط".

وأضاف في تصريحات لوكالة "الأناضول" أن الجماعة "تنفي كل الاتهامات التي ساقتها هيئة كبار العلماء ضدها"، مؤكداً أن "منهج الجماعة تأسس على كتاب الله وصحيح السّنة دون شطط أو تطرّف، وتاريخها يشهد بذلك".

واستند فهمي إلى أقوال علماء بارزين، هم: عبد العزيز بن باز، وبن جبرين، وسفر الحوالي، واللجنة الدائمة للإفتاء، بحق الجماعة، مبيناً أن "هؤلاء قالوا إن الإخوان من أقرب الجماعات إلى الحق، ومن أهل السنة والجماعة والفرق الناجية، وجماعة وسطية تقصد الإصلاح والدعوة إلى ا".

موقف سياسي متغير

ويعتقد الباحث محمد إلهامي أن الموقف الجديد لهيئة كبار العلماء، "هو موقف سياسي متغير، وإذا تغيرت الظروف في المملكة فربما تصدر نفس هذه الهيئة بياناً آخر مناقضاً تثني فيه على جماعة الإخوان ومجهوداتها الدعوية، تماماً مثلما كانت المملكة في أوقات سابقة هي حاضنة الإخوان المسلمين".

وقال في تصريح ل "التغيير": إن "الموقف الرسمي لآل سعود الآن هو الانسلاخ من الهوية الإسلامية، وفتح البلاد أمام الليبرالية الأخلاقية (أي التي تستهين بالأخلاق وتشجع على التبرج والاختلاط والانحلال بشكل عام) وليست الليبرالية التي تعنى بالحريات السياسية وحقوق الإنسان والمشاركة في اختيار الحاكم ومراقبته وعزله"؛ مؤكداً أن " المملكة تأخذ من الفكر الليبرالي أسوأ ما فيه وأفحش ما فيه، وتترك ما في الليبرالية من إنجاز سياسي وحضاري".

ولفت كذلك إلى أن " المملكة تفتح مساراً واسعاً للتطبيع مع الكيان الصهيوني، وقد دخلت -بشرائها لجزيرتي تيران وصنافير- في دول الطوق، ووقعت على الاتفاقية الأمنية التي تنظم مهمات دول الطوق، وحصلت العديد من الزيارات غير الرسمية، والزيارات الرسمية غير المعلنة من مسؤولين من المملكة إلى إسرائيل".

وأكّد إلهامي أن "هذا الانسلاخ العام والعلني من الهوية الإسلامية يستلزم محاربة التيارات الإسلامية جميعها، بما في ذلك (الوهابية)، ولكن لظروف المملكة الخاصة التي يرسخ فيها شأن الشيخ محمد عبد الوهاب ودعوته، وعائلته كذلك، فإن الأنسب بالنسبة للسلطة في المملكة أن تجعل عنوان المعركة متعلقاً بالإخوان المسلمين".

ويرى الباحث أن "الإخوان مثّلوا بديلاً خطيراً للفكرة التي طالما احتكرتها السلطة في مملكة آل سعود، وهي فكرة تمثيل الإسلام، وقدرة غيرهم على الوصول إلى السلطة والتحدث بلسان إسلامي.. وفي ظروف ثورة مصر والربيع العربي تعرض النظام الملكي لآل سعود لتهديد خطير على مستوى الفكرة وعلى مستوى

التجربة، ولهذا كانت المملكة لديها دوافع إضافية لمعاداة الإخوان المسلمين".

وبيّن كذلك أن الإخوان المسلمين بدأت كجماعة إسلامية تستهدف إعادة المجتمعات إلى الإسلام وتغيير السلطات الحاكمة الموالية للغرب، لكن تجربتهم الطويلة نزعت بهم إلى ترك التغيير والبقاء في خانة الإصلاح فحسب.

وشدد على أن الجماعة لم تعد منذ السبعينيات حركة تحرر إسلامية حتى في الدول التي وقعت تحت الاحتلال (باستثناء حماس، وبغض النظر الآن عن الجدل فيما إن كانت حماس تأسيساً جديداً أم امتداداً طبيعياً للجماعة)، بل حرصوا على موقعهم كحركة سياسية إصلاحية تعترف بالأنظمة القائمة وتشارك معها، وكثيراً ما تدعمها في محاربتها لجماعات إسلامية أخرى.

واستدرك ختاماً بأن "الجميع يعرف ويعترف من خلال الواقع بأن جماعة الإخوان لا يمكن أن توصف بالإرهابية ضمن أي مفهوم لمعنى (الإرهاب)، وأول ما يؤكد ذلك هو موقف المملكة الرسمي إلى وقت قريب".

من التحالف إلى العداء

منذ تأسست المملكة عام 1936، كان هناك ارتباط وثيق مع الحركات الإسلامية، ومن ضمنها الإخوان المسلمون، استمرت نحو 8 عقود بين صعود وهبوط، تعمقت فيها العلاقات وساهم الإخوان من مختلف دول العالم الإسلامي أثناء ذلك بحركة ثقافية واسعة داخل المملكة وخارجها.

وكان لتغير أنماط وشخصيات الحكم في المملكة دور بارز في تباين العلاقة من التعاون حتى المواجهة مروراً بالتبرؤ، خصوصاً بما يخص المناهج التعليمية، ونظرة الإخوان المختلفة لحرب الخليج الأولى ثم الثانية، وموضوع الاستعانة بالغرب لتحرير الكويت، وغير ذلك من المجريات التي استمرت صعوداً إلى اندلاع شرارة الربيع العربي ذي الأحداث الفاصلة وسط طموح سياسي للجماعة في قيادة بلدانهم، سواء بمصر وتونس واليمن وليبيا وسوريا وغيرها، والذي وقفت المملكة والإمارات بوجهه بشكل خاص عبر التمويل والتحريض الكبيرين.

وكان الانقلاب الأكبر عام 2014 حين أعلنت المملكة جماعة "الإخوان ومن يؤيدهم أو يتعاطف معهم بأي شكل" ضمن قائمة حملت تسعة تنظيمات تم تصنيفها إرهابية، على الرغم من وجود عشرات آلاف الأشخاص والمنظمات والجمعيات التي تعمل ضمن خطهم داخل المملكة.

وبعد ذلك التاريخ بدأ التضييق يكبر شيئاً فشيئاً على كل منتسب رسمياً أو فكرياً لجماعة الإخوان المسلمين في المملكة، ومع بداية عهد الملك سلمان بن عبد العزيز ونجله محمد بن سلمان اشتد الوضع، وشنت حملات اعتقالات واسعة طالت المئات بينهم دعاة ومشايخ كبار، معظمهم لا ينتمون للجماعة إلا أنهم يؤيدونها أو يتعاطفون معها باعتبارها جماعة إسلامية.

الإخوان

وخلال السنوات الثلاث الماضية برز العداء للإخوان في وسائل التواصل الاجتماعي مما يعرف بـ "الذباب الإلكتروني"، بالإضافة إلى هجوم شخصيات رسمية أو مدعومة من السلطات ضدهم.

فقد قال يوسف العثيمين، الأمين العام لمنظمة التعاون الإسلامي، في 20 يونيو 2020، إن جماعة الإخوان المسلمين أكثر خطراً من تنظيم "داعش"، داعياً لمواجهتهم، في موقف مستغرب من أمين عام لمنظمة دولية لا محلية.

وفي فبراير 2020، أعفى وزير التعليم ، حمد آل الشيخ، عميد كلية الشريعة في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية؛ لاستضافته أشخاصاً عليهم "مخالفات فكرية"، تبين فيما بعد أنهم محسوبون على خط الإخوان المسلمين.

وفي يناير الذي سبقه، قامت جامعات في المملكة بإتلاف كل ما له علاقة بجماعة الإخوان المسلمين في مكتباتها، وأنشأت وحدات للتوعية منهم في انقلاب شامل للوضع السابق.